ورقة علمية

حرب حجارة السجيل 2012
وانعكاساتها على حركة حماس

شعاع جلال نايف كممجي

تشرين الأول/ أكتوبر 2022

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

جميع إصدارات ومنشورات المركز تعبر عن رأي كتابها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات..... 1

الملخص 2

المقدمة 3

فرضية البحث 4

منهجية الدراسة 5

حدود البحث..... 5

أولاً: حرب الفرقان..... 5

ثانياً: حرب حجارة السجيل 2012: 8

1. مقدمات الحرب وأسبابها 8

2. المسار العملياتي للحرب 11

3. اتفاق وقف إطلاق النار والدور المصري 16

ثالثاً: تأثيرات الحرب:..... 19

1. تأثير الحرب على مكانة حماس السياسية..... 19

2. ما بعد حرب السجيل 23

الخلاصة 29

Abstract 31

حرب حجارة السجيل 2012 وانعكاساتها على حركة حماس

شعاع جلال نايف كممجي[1]

الملخص:

جاء البحث لتسليط الضوء على مدى إسهام حرب السجيل 2012 في تعزيز مكانة حماس سياسياً وعسكرياً، وإظهار تطور أدائها العسكري في أثناء خوض المعركة، وتسليط الضوء على تأثير الدور المصري وبيئة الربيع العربي في التأثير على المعركة ومجريات المفاوضات في حرب السجيل.

وقد خلصت الدراسة إلى أن حرب السجيل شكّلت نقطة تخفيف للانعزال السياسي الذي فرضه المحيط على حركة حماس، وإعادة شرعية حركة حماس وإثبات شعبيتها وتعزيز مكانتها، إلى حدٍّ ما، فقد أثبتت حماس قدرتها على إدارة المعركة من جميع جوانبها العسكرية، والتفاوضية، والإعلامية، والميدانية، وسارت وفق استراتيجيات محددة مخططة ومدروسة، وقد أظهرت في تلك المعركة مدى الاستعداد والجهوزية في أي وقت لخوض أي معركة. وقد كان للدور المصري تأثير كبير على مجريات الحرب، خصوصاً في رئاسة الرئيس محمد مرسي، خلاف ما كانت عليه الحكومة المصرية السابقة برئاسة مبارك، فقد أظهر تعاونه الذي لم يقتصر فقط على الشجب والتنديد، وإنما خطى بخطوات واقعية وعملية تصبّ في مصلحة القضية الفلسطينية.

[1] من مدينة جنين. معتقل منذ سنة 2003، ومحكوم بالسجن 25 عاماً. حاصل على ماجستير تخصص تربية وحضارة. حافظ لكتاب الله. له عدة مؤلفات منها كتاب سؤال وجواب في عقيدة الأحباب، وسيرة المصطفى، وسيرة حياة ابن كثير، والحروب على غزة، وصور وعبر من خلافة عمر.

المقدمة:

لقد مثّلت انتفاضة الأقصى التي انطلقت شرارتها في سنة 2000 مفترقاً مهماً في تاريخ الشعب الفلسطيني، ذلك أنها شكّلت بداية انطلاقة العمل العسكري المسلّح والمنظم، الذي أخذ بالتطور تدريجياً حتى أصبح بما يشبه الجيوش الصغيرة التي تعتمد أسلوب حرب العصابات، والتي تحدَّت الجيش الإسرائيلي ودولة الاحتلال من خلال عمليات إطلاق النار، وزرع العبوات، وتفجير الدبابات، وحفر الأنفاق، وتطوير إطلاق الصواريخ، الأمر الذي أجبر الجيش الإسرائيلي على الانسحاب من قطاع غزة، وهكذا ولأول مرة في تاريخ الشعب الفلسطيني تتحرر مساحة جغرافية معينة، ويتشكل فيها كيان سياسي وعسكري مقاوم. ثم بدأت المقاومة بكل حركاتها في قطاع غزة وعلى رأسهم حركة حماس ببناء البنية التحتية للمقاومة المسلحة، وبدأت بتطوير سلاح الصواريخ والأنفاق الذي تُرجم بسرعة بعملية الوهم المتبدد، فقامت دولة الاحتلال بفرض حصار خانق على قطاع غزة، الأمر الذي دعا المقاومة إلى تنفيذ الكثير من العمليات الجهادية، وإطلاق الصواريخ وتبعها توغلات إسرائيلية، وتصفيات لكثير من رموز المقاومة. وهكذا الطريق قصيرة جداً نحو الحرب الأولى التي خاضها القطاع سنة 2008، حيث استمرت تلك الحرب 22 يوماً، تاركة خلفها آلاف الضحايا والإصابات. استمر نزيف القطاع، واشتدت حالة الحصار الخانق، ولم تنتهِ تلك الحرب باتفاق وقف إطلاق النار أو هدنة واضحة المعالم، بل اعتمد الجيش الإسرائيلي في إنهاء تلك الحرب على أمل ردع المقاومة، الأمر الذي سرعان ما تبيّن أنه أمل خائب، وهكذا تدهورت الأمور مرة أخرى إلى الضربات المتبادلة، وخصوصاً بعد انطلاق ثورات الربيع العربي، الأمر الذي شجّع سكان القطاع على التطلع نحو الحرية، والعمل على الاستفادة من هذه الثورات، والتقوّي بالسلاح الذي أمكن تهريبه إلى قطاع غزة بفضل تلك الثورات

العربية وخصوصاً في مصر وليبيا، وهو الأمر الذي أرعب دولة الاحتلال، فعادت إلى استراتيجيتها القديمة بعدم السماح لأي تهديد قريب من حدودها، وهكذا شنّت حربها الثانية على القطاع، حرب حجارة السجيل 2012، التي بدأتها باغتيال القائد الكبير لكتائب القسام، أحمد الجعبري، وسرعان ما تدخلت الوساطات الأمريكية والمصرية لوقف هذه الحرب، وعلى العكس من الحرب التي سبقتها، والتي لم تنتهِ باتفاق لوقف إطلاق النار أو حتى هدنة واضحة المعالم، فقد انتهت حرب 2012 باتفاق لوقف إطلاق النار بين الطرفين بالرغم من قصر مدتها، وقلّة ضحاياها نسبياً مقارنةً مع حرب الفرقان، ولقد كانت لهذه الحرب أهمية استراتيجية ومعنوية للقطاع بشكل عام، ولحركة حماس بشكل خاص.

أحمد الجعبري

ولذلك فإن موضوع البحث المركزي يدور حول هذه الحرب سنة 2012، ولا شكّ أن هناك أهمية بالغة لإجراء هذا البحث؛ لأن ديمومة الصراع والحصار على قطاع غزة ما زالت قائمة، خصوصاً وأن القطاع من خاض حرباً ثالثة بعد حرب، حجارة السجيل، بسنتين فقط. وقد تركّز سؤال البحث المركزي:

إلى أي مدى أسهمت حرب 2012 في تعزيز مكانة حماس سياسياً وعسكرياً؟

وللوصول للهدف المطلوب والإجابة عن سؤال البحث المركزي، لا بُدَّ من دراسة المواضيع التالية:

- 1. هل استعدت حماس كما ينبغي لحرب 2012؟
- 2. هل حققت حماس أي إنجازات سياسية على الساحة الفلسطينية أو على الساحة الدولية؟
- 3. هل أظهرت حماس تطوراً ملموساً على أداء الحركة العسكري؟
- 4. ما الدور المصري وبيئة الربيع العربي في التأثير على المعركة ومجريات المفاوضات؟

فرضية البحث:

تتحدد فرضية البحث في الآتي: لقد أسهمت حرب حجارة السجيل 2012 في تقوية مكانة حركة حماس، وتعزيز مواقعها سياسياً من خلال شرعنة المقاومة في وطن محتل مسلوب الحقوق والحريات، وتغيّر نظرة العالم للحركة من حركة إرهابية إلى كيان مقاوم على أرضه لصدّ العدوان الخارجي على شعبه.

منهجية الدراسة:

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي لمجريات وأحداث حرب السجيل 2012، مقارنة بحرب 2008، وذلك لملاءمته أغراض الدراسة.

حدود البحث:

الحدود المكانية: ركَّز البحث على قطاع غزة وحركة حماس.

الحدود الزمانية: ركَّز البحث على حرب 2012، مع المقارنة بحرب الفرقان 2008.

أولاً: حرب الفرقان:

في 2008/12/27، بدأت "إسرائيل" حرباً على قطاع غزة أطلقت عليها اسم "عملية الرصاص المصبوب"، وردت عليها المقاومة الفلسطينية في القطاع بعملية سمتها "معركة الفرقان"، وكان الهدف الذي وضعته قيادة الاحتلال لهذه الحرب هو "إنهاء حكم حركة حماس في القطاع"، والقضاء على المقاومة الوطنية الفلسطينية، ومنعها من قصف "إسرائيل" بالصواريخ.[2]

بالرغم من امتناع "إسرائيل" عن الإفصاح والكشف بصراحة عن أهداف حربها على قطاع غزة، وتضارب تصريحات قيادتها حول هذه الأهداف، إلا أننا يمكن أن نستخلص من هذه التصريحات جملة من الأهداف المعلنة، منها تدمير البنى التحتية للمجموعات الفلسطينية المسلحة في قطاع غزة، وشلِّ قدرتها على إطلاق الصواريخ باتجاه المدن والبلدات الإسرائيلية الجنوبية القريبة من

[2] أبرز حروب إسرائيل على قطاع غزة، موقع الجزيرة.نت، الموسوعة، 2022/8/7، انظر: https://www.aljazeera.net

القطاع، وتدمير الأنفاق المفتوحة بين قطاع غزة من جهة، والأراضي المصرية من جهة أخرى، والتي تستخدم في عمليات تهريب الأسلحة إلى داخل قطاع غزة لمصلحة المجموعات الفلسطينية المسلحة، ومحاولة الوصول إلى مكان الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط Gilad Shalit الذي تحتجزه بعض التنظيمات الفلسطينية المسلحة؛ بهدف تحريره.[3]

جلعاد شاليط

لقد استمرت الحربُ 22 يوماً، واعتمدت "إسرائيل" فيها على عنصر "المفاجأة"، حيث قصفت "إسرائيل" مواقع للشرطة، وخلّفت مئات الشهداء، بالإضافة إلى القصف العشوائي والاغتيالات والترويع، ومحاولة دبّ الرعب والروع بين سكان القطاع.

وقد عمدت "إسرائيل" إلى الإيحاء بأن الأمر الوحيد الباقي لمواجهة هذه الصواريخ يتلخص إما بالعودة لاحتلال قطاع غزة، أو البحث عن ردعٍ يوفر لها هدنة طويلة. والواقع أن "إسرائيل" عمدت من خلال العملية التي أسمتها "الرصاص المصوب" إلى القتل الكثيف والتدمير الشامل في البنية التحتية، "حاولت أن تجسّد سياسة "كي الوعي" التي تعتقد أنها ستمنحها الراحة لأطول فترة ممكنة"، غير أن هذه السياسة بعد نهاية الحرب لم تدم طويلاً، وتواصلت عملية التآكل في الردع الإسرائيلي بتدرج؛ بصاروخ في هنا وصاروخ هناك.[4]

أظهر المقاتلون من الفصائل كافةً مقاومة باسلة في مواجهة القوات الإسرائيلية، خصوصاً في مناطق شمال قطاع غزة، بيت لاهيا وجباليا، التي كانت هدف الاختراقات الإسرائيلية البرية المبكرة، وقد استمرت هجمات وحدات المقاومة على القوات الإسرائيلية المتمركزة في هذه المناطق حتى نهاية الحرب. كما شهدت الأحياء شرق مدينة غزة، في الزيتون والتفاح، مقاومة لا تقل بسالة في بعض المواقع، استمر

---

[3] أهداف ونتائج الحرب على غزة 2008-2009، موقع مركز المعلومات الوطني الفلسطيني – وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا)، في: https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4221

[4] فادي نحاس، "المشهد الأمني العسكري،" في هنيدة غانم (محرر)، **تقرير "مدار" الإستراتيجي** 2013 (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، 2013).

المقاتلون أياماً طويلة في خنادق تحت الأرض، يعتاشون على قليل من الماء والطعام، بانتظار فرصة سانحة لمهاجمة المدرعات أو الوحدات الإسرائيلية، وقد اتضح أبرز الأدلة على صمود المقاومة في الاحتفاظ بالقدرة على إطلاق الصواريخ، بما في ذلك صواريخ غراد، طوال أيام الحرب، وحتى بعد ساعات من وقف إطلاق النار، ولكن أداء المقاومة العسكري شهد قصوراً أيضاً.[5]

بعد خوض حرب الفرقان 2008، انتصرت حركة حماس بصمودها أمام الجيش الإسرائيلي، واستطاعت حماس وفصائل المقاومة الفلسطينية الأخرى بالتدريج منذ عملية "الرصاص المصوب"، نهاية سنة 2008 وبداية 2009، تحطيم ما يسمى "بقوة الردع الإسرائيلية".

من هنا فقد أظهرت المقاومة عناصر قوة تمثلت في الإرادة والصمود والاستعداد للتضحية أمام انسداد الخيارات الأخرى، وتلاحم الشعب مع المقاومة واستعداده لتحمل الصعاب، وكذلك المراهنة على تحرك الشارع الفلسطيني والعربي، والمراهنة على الجبهة الشمالية، لبنان وسورية، إن تخطت "إسرائيل" الخطوط الحمر؛ المراهنة على ضعف الجبهة الداخلية للعدو.[6]

فقد عزز هذا الانتصار في نفوس الشعب الفلسطيني أن هزيمة الصهاينة هو مشروعه القادم وتحرير فلسطين كاملة، أما فيما يتعلق بنظرة "إسرائيل" وسياستها تجاه غزة، ولماذا تشنّ عليها حرباً كل سنة أو سنتين؛ ذلك أن الأمن هو الهاجس الذي تعيش فيه الدولة العبرية منذ نشأتها.

[5] بشير نافع، ورقة تحليلية: "الحرب على قطاع غزة،" موقع مركز الجزيرة للدراسات، 2009/3/26، انظر:
https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2009/201172118522896873 9.html

[6] وليد سكرية، "قراءة إستراتيجية في الحرب على غزة،" مركز الجزيرة للدراسات، 2009/1/27، في:
https://studies.aljazeera.net/ar/files/2009/201172233041656388.html

ثانياً: حرب حجارة السجيل 2012:

1. مقدمات الحرب وأسبابها:

كانت مقدمات العدوان الإسرائيلي سنة 2012 على قطاع غزة تلوح في أفق اللعب على حافة المواجهة الواسعة بين فصائل المقاومة الفلسطينية وجيش الاحتلال الإسرائيلي، مع سعي بفرض قواعد لعبة جديدة في التعامل مع تُخوم القطاع.

بدأت عملية حجارة السجيل في 2012/11/14 باغتيال عدد من القادة العسكريين في حركة حماس، وعلى رأسهم أحمد الجعبري قائد كتائب عزّ الدين القسام، واستهداف ما تعتقد "إسرائيل" بأنها أماكن تخزين صواريخ طويلة المدى ومنصات إطلاق صواريخ.

وقد مثّلت عملية اغتيال الجعبري إشارة لبدء عملية عسكرية اعتمدت على قصف جوي مكثّف بهدف اغتيال قادة آخرين فشلت بها "إسرائيل"، وفي مساء اليوم التالي 15 تشرين الأول/ أكتوبر قامت الفصائل باختراق الخطوط الحمر بعد إطلاق سرايا القدس التابعة لحركة الجهاد الإسلامي عِدّة صواريخ فجر 5، استهدفت مدنيتَي تل أبيب وريشون لتسيون القريبة منها، ففتح بعد ذلك بوابة استهداف قلب فلسطين المحتل ومدينة القدس المحتلة على بعد 70 كم من قطاع غزة.

وأفضى العدوان الإسرائيلي على غزة إلى مقتل 162 فلسطينياً، من بينهم 42 طفلاً، و11 سيدة، و18 مسناً، بينما بلغ عدد المصابين 1,222 من بينهم 431 طفلاً، و207 سيدات، و88 مسناً. وهاجم الاحتلال الإسرائيلي خلال أيام العدوان نحو 1,500 هدف في القطاع، من بينها مقرات حكومية، وأنفاق، ومنصات صواريخ، ومنازل، وناشطون بارزون، ومخازن أسلحة. أما في الجانب الإسرائيلي فقد أدّت عملية حجارة السجيل إلى مقتل ستة إسرائيليين، من بينهم جنديان، بينما بلغ عدد الجرحى 240 إسرائيلياً، وذلك حسب المصادر الإسرائيلية. كما سقط على "إسرائيل" نحو 1,506 صواريخ تمّ إطلاقها من قطاع غزة، استهدفت مستوطنات الجنوب المحيطة بالقطاع، بالإضافة إلى تل أبيب والقدس، ووفقاً لحسابات شركة

العلوم الاقتصادية (BDI) التي أجرتها في 2012/11/17، فإن تكلفة الحرب وصلت إلى 1.1 مليار شيكل (حوالي 277.8 مليون دولار) في أسبوع.[7]

محمد مرسي

وتصنف حرب 2012 ضمن حروب العقاب تجاه غزة، فقد سبقها في سنة 2011 صفقة تبادل الأسرى "وفاء الأحرار"، وارتفعت أرصدة المقاومة والالتفاف الشعبي حولها وانطلاق الربيع العربي، وبعدما تبدّلت منظومة الحكم في مصر من حكم مبارك إلى حكم جماعة الإخوان المسلمين، وفوز محمد مرسي في الانتخابات، وعزز مفهوم ضرورة معاقبة غزة صورة القائد أحمد الجعبري وهو يمسك بيد الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط.[8]

تمثّلت أهداف حرب السجيل في اختبار النظام المصري وإحراجه في ظلِّ عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي وهزِّ علاقة النظام الجديد مع واشنطن، وكذلك كشف قدرات المقاومة والتعاطي معها، ومن ثم كشف قدرات القبة الحديدة، وتوجيه ضربة مؤلمة لحركتَي حماس والجهاد الإسلامي في الضفة الغربية وغزة.[9]

وقد قال إيهود إيعاري Ehud Yaari، الباحث الإسرائيلي "حددت إسرائيل هدفاً متواضعاً إلى حدّ ما، لحملتها المسماة "عمود السحاب" لا يتضمن إزاحة نظام "حماس" من غزة مثلما كانت تسعى في

---

[7] محمد غازي الجمل، "تحولات وسياسات المشهد الإستراتيجي بعد العدوان الإسرائيلي على غزة في العام 2012،" موقع مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 2013، في: http://mesc.com.jo/Studies/Studies_16.html#_ftn1
ملاحظة: تم اعتماد سعر صرف الدولار مقابل الشيكل الإسرائيلي بـ 3.96 بحسب أسعار 2012/11/17.

[8] محمود أبو وطفة وهيثم الرنتيسي، "الورقة الأولى: حروب غزة أسباب وعمليات ونتائج 2008، 2012 و2014 دراسة مقارنة،" ورقة بحثية مقدمة لليوم الدراسي "الآثار الإستراتيجية للحروب على غزة في ظل التحولات الإقليمية"، معهد فلسطين للدراسات الإستراتيجية ومركز الدراسات الإقليمية، غزة، 2015/10/8، ص 32.

[9] أحمد أبو السعيد، "الورقة الرابعة: قراءة تقييمية للتغطية الإعلامية العربية والدولية خلال الحروب على غزة "دراسة تحليلية نقدية"،" ورقة بحثية مقدمة لليوم الدراسي "الآثار الإستراتيجية للحروب على غزة في ظل التحولات الإقليمية"، معهد فلسطين للدراسات الإستراتيجية ومركز الدراسات الإقليمية، غزة، 2015/10/8، ص 230.

الماضي، ولا انهيار كامل لجناح "حماس" العسكري، إن الهدف كما حدد بيان مسؤول إسرائيلي بارز هو هدنة طويلة الأمد على طول الحدود مع غزة".[10]

أما العوامل التي ساعدت على اندلاع تلك الحرب فهو حصار قطاع غزة المتواصل منذ سنة 2006، وحالة الضيق التي يعيشها سكان القطاع، وكذلك البطالة والركود الاقتصادي، والانعزال عن العالم الخارجي، كل هذا وغيره كان سبباً لاشتعال الحرب.

إيهود باراك

وحدّد وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك Ehud Barak في اليوم التالي لبدء العملية أهدافها رسمياً؛ بالقول إنها "أولاً: تعزيز قوة الردع الإسرائيلي، ثانياً: إلحاق أضرار كبيرة بترسانة الصواريخ الفلسطينية، ثالثاً: تسديد ضربات مؤلمة إلى حماس، رابعاً: تقليص إمكان إلحاق أضرار بالجبهة الداخلية".[11]

ربما لا يوجد تحليل أو تحديد دقيق لأهداف الحرب، لكن الأرجح أنها كانت حرباً بأهداف محدودة، تضمنت مغامرة لها اعتبارات داخلية، مع توجيه رسالة إلى حماس بعدم التمادي في السماح للفصائل الصغيرة بالقيام بعمليات ضدّ "إسرائيل".

بنيامين نتنياهو

إن الأهداف المعلنة بحسب المصادر الرسمية الإسرائيلية هي وقف إطلاق الصواريخ، ومنع المقاومة من تغيير قواعد الاشتباك، واستعادة هيبة الردع للجيش الإسرائيلي، ولكن ما أراده بنيامين نتنياهو Benyamin Netenyahu من تصعيد حظوظه في الانتخابات المقبلة عبر صورة انتصار في غزة، وفرض الأجندة الأمنية والتغطية على المطالب الاقتصادية والاجتماعية التي أنتجتها الأزمة الاقتصادية.[12]

---

[10] أحمد عزم، إسرائيل ونظرية الاحتواء المزدوج بمساعدة مصرية، صحيفة **الغد**، عمّان، 2013/2/18.

[11] أنطوان شلحت، "إسرائيل بين المتاهة السياسية وفائض القوة لدى اليمين،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد 93، شتاء 2013، ص 219.

[12] عبد الرحمن فرحانة، العدوان على غزة.. الدوافع والمآلات، الجزيرة.نت، 2012/11/26.

فقد كانت هذه الحرب ذات طابع مختلف من حيث النتائج مقارنة بغيرها، حيث امتازت بالتوقف السريع، خصوصاً من الجانب الإسرائيلي الذي بدأها.

على الرغم من قصر مدتها إلا أن حرب حجارة السجيل التي اندلعت يوم 2012/11/14 وانتهت في 2012/11/21، تُعدّ حرباً استكشافية فاحصة من قبل "إسرائيل" والمجتمع الدولي لطبيعة المتغيرات التي شهدتها المنطقة، وتحديداً انعكاسات التحول الديموقراطي الذي حصل في أكبر دولة عربية وهي مصر، ووصول جماعة الإخوان المسلمين ممثلين بالرئيس محمد مرسي لسدة الحكم، وكذلك محاولة "إسرائيل" فحص قدرات المقاومة ومدى تطورها، ومدى احتضان الشعب الفلسطيني للمقاومة.[13]

2. المسار العملياتي للحرب:

لم تكن هناك حرب برية أو أي نشاط بريّ للعدو الصهيوني سوى الحشودات العسكرية واستدعاء قوات الاحتياط للضغط في سبيل حلّ الأزمة، ولقد لوحظ تعزيز موقع زكيم العسكري على مشارف القطاع الشمالية بلواء مدرع، ولواء مشاة وكتيبة هندسة، وبطاريات مدافع، وتعزيز موقع ناحل عوز شرق غزة بكتيبتَي دبابات ولواء مشاة وسرية جرافات، وتُعزى كثافة التعزيزات في اليوم الخامس من الحرب لتشكيل ضغط على المقاومة التي كانت تقديراتها باستبعاد الدخول البريّ.[14]

على عكس حرب 2008 التي بدأت بدخول بريّ من خلال ثلاثة محاور لاختراق عمق القطاع؛ محور ناحل عوز، ومحور المنطار كاريي نتساريم، ومحور الشمال زيكيم، حيث إنه كان باتجاه مدينة غزة، ونجح التمدد العملياتي في

[13] حسام الدجني، الشهيد أحمد الجعبري وحجارة السجيل، موقع وكالة شهاب الإخبارية، 2020/11/15، في: https://shehabnews.com/p/72729

[14] محمود أبو وطفة وهيثم الرنتيسي، "الورقة الأولى: حروب غزة أسباب وعمليات ونتائج 2008، 2012 و2014 دراسة مقارنة،" ص 34.

الوصول إلى تخوم المدينة في الشمال وإلى عمق الأحياء الجنوبية منها، وسبق ذلك قصف تمهيدي، ومثّل هدف العدو في الوصول إلى عمق شخصيات المقاومة وتدمير قوتها العسكرية.[15]

أما من الناحية الجوية في حرب السجيل فقد نفذت المقاتلات الحربية عدداً كبيراً من الطلعات في أجواء المنطقة، وقامت بتنفيذ عدد كبير من الغارات الجوية تجاوزت 1,400 غارة، استهدفت الأراضي الفارغة والزراعية، ومنصات الصواريخ ومرابضها، وعدداً من المراكز الحكومية وبيوت المدنيين، كما قامت بإلقاء المناشير فوق المناطق الشمالية والشرقية مفادها "إخلاء سكان بيت حانون وبيت لاهيا والشجاعية والزيتون وتل الإسلام إلى داخل مركز مدينة غزة تمهيداً للعملية البرية".[16]

أما على صعيد المقاومة فإنه لا بدّ من الوقوف على أهم التحولات الاستراتيجية التي رسختها حرب حجارة السجيل؛ فهناك خمسة تحولات استراتيجية ظهرت في قدرات المقاومة الفلسطينية، وهي:

- أ. ضرب تل الربيع بصاروخيَ أم 75 وفجر 5.
- ب. إطلاق صاروخ أرض جو باتجاه طائرة حربية من طراز أف–16 أو F–16، وإطلاق صاروخ كورنيت Cornet على بارجة بحرية.
- ج. إسقاط طائرة استطلاع في عملية تكنولوجية والحصول عليها.
- د. القدرة الأمنية الخارقة في الحفاظ على صلابة الجبهة الداخلية وتماسكها.
- هـ. الإسهام بوقف سيناريو توجيه ضربة عسكرية إسرائيلية لإيران.[17]

فقد شهدت حرب السجيل 2012 تطوراً ملحوظاً استراتيجياً في إطلاق المدفعية والصواريخ وتنوعها ما بين صواريخ قسام، وهاون، و107، وغراد، وفجر 5، وكورنيت، وكذلك تنوعت الأماكن بحيث وصلت إلى مدينة القدس، لأول مرة منذ سنة 1970، وتعرّضت تل الربيع المركز التجاري الإسرائيلي لهجوم صاروخي التي

---

[15] المرجع نفسه، ص 60–61.

[16] المرجع نفسه، ص 35.

[17] حسام الدجني، الشهيد أحمد الجعبري وحجارة السجيل، وكالة شهاب الإخبارية، 2020/11/15.

لم تتعرض لمثل هذا الهجوم منذ استهداف صدام حسين المدينة سنة 1991، كما يوضح الجدول التالي أماكن توزع إطلاق الصواريخ وعددها:[18]

أماكن توزيع الصواريخ حسب المكان المستهدف وعدد الصواريخ		
م	**المكان**	**عدد الصواريخ**
1	تل الربيع	7
2	القدس	3
3	هرتسليا	1
4	بئر السبع	201
5	أسدود	118
6	المجدل	87
7	أوفيكم	63
8	سديروت	51
9	كريات ملاخي	34
10	نتفوت	45
11	حتسريم	23
12	حتسور	27
13	تسيلم	22
14	كريات غات	18
15	8200	8
16	زوارق حربية	8
17	بالمخيم	5
18	الحشودات العسكرية خارج القطاع	151
19	مواقع عسكرية	701
	الإجمالي	**1,573**

[18] محمود أبو وطفة وهيثم الرنتيسي، "الورقة الأولى: حروب غزة أسباب وعمليات ونتائج 2008، 2012 و2014 دراسة مقارنة،" ص 36–37.

ومما زاد من إضعاف الجبهة الداخلية هو تلميح "إسرائيل" بعملية برية لم تكن مستعدة لها، كما تجلى في إعلان استدعاء 16 ألفاً من جنود الاحتياط في اليوم الأول للحرب، وقد ارتفع هذا العدد في اليوم الثاني إلى 30 ألفاً، وإلى 75 ألفاً جندي احتياط في اليوم الثالث، وقد أخذت في بقية الأيام في مربع القصف الإجرامي للمنازل، وتكثيف الضغط العسكري على الكتلة السكانية، وتكرار قصف ما استهدف سابقاً.[19]

بالمقابل من إطلاق المقاومة للصواريخ قامت "إسرائيل" بإطلاق مئات القذائف الصاروخية يومياً، وكان الطيران الحربي الإسرائيلي يشنّ الغارات الجوية على قطاع غزة، ولكن دون البدء في عملية برية.[20]

بالرغم من الحصار الإسرائيلي والعربي الظالم والقاسي الذي تعرضت له حماس وفصائل المقاومة في قطاع غزة، وبالرغم من الإمكانات البسيطة الضئيلة، فإن غزة لم تضيّع وقتها، وقدّمت نموذجها، وطوّرت البنى التحتية للمقاومة، ودرّبت عشرات الآلاف من المجاهدين، وطوّرت صناعات عسكرية تفوّقت على بلدان عربية أكثر ثراءً وعدداً وأكبر مساحةً وأكثر علاقات خارجية. وبالرغم من حملات التشويه والحصار من طرف النظام الجديد وأعوانه في مصر، فإن المقاومة لم تفقد البوصلة، وظلّت إمكاناتها وقدراتها موجهة ضدّ العدو الصهيوني.[21]

---

[19] وليد الخالدي، **فلسطين وصراعنا مع الصهيونية وإسرائيل** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية والنادي الثقافي العربي، 2009)، ص 479.

[20] عاطف أبو سيف وامطانس شحادة، "مشهد العلاقات الفلسطينية الإسرائيلية: الجمود وتغير الواقع،" في هنيدة غانم (محرر)، **تقرير "مدار" الإستراتيجي** 2013 (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، 2013)، ص 58.

[21] محسن محمد صالح، غزة المقاومة تعيد توجيه البوصلة، موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2014/8/11، انظر: https://www.alzaytouna.net

فقد تمكنت المقاومة، وتحديداً حماس، من تطوير أنظمة صواريخها، فازداد مداها إلى نحو 120 كم، وازدادت دقتها، كما ازدادت كمية المواد المتفجرة التي تحملها. وهكذا، بعد أن كان يحلو لبعض الثوريين المتقاعدين أن يسميها صواريخ "عبثية" و"ألعاباً نارية"، طوَّر الإيمان والإرادة مدى هذه الصواريخ من بضعة كيلومترات إلى حالة كانت تضطر نحو مليون إسرائيلي للذهاب للملاجئ، في حرب الفرقان 2009/2008، ثم وسعت الدائرة في معركة حجارة السجيل في 2012 لتشمل نحو ثلاثة ملايين إسرائيلي، ثم لتصل في هذه المعركة إلى كلّ التجمعات الصهيونية في فلسطين المحتلة، أي نحو ستة ملايين إسرائيلي.[22]

على الرغم من الخسائر والدمار اللاحق في البنية التحتية للقطاع، وفداحة الخسائر التي تكبدها أهالي القطاع إلا أن المقاومة الفلسطينية أصرّت على الصمود والثبات في مواجهة العدوان، فقد صمدت المقاومة، وثبتت، ومن خلفها الشعب يدعمها ويساندها ويشدّ من عضدها، والتي بدورها هيأت لاستبسال المقاتلين، وتنفيذ خططهم ومفاجآتهم ومهاراتهم القتالية.

وقد رسمت المقاومة صورة إدارية متفوّقة في الحرب، تمثّلت في إدارة جوانب الحرب كافة؛ على صعيد الناحية العسكرية، والإعلامية التي برزت في تصوير البيانات وإعداداها وتركيبها، وفي مجال الحرب النفسية والتجسس، ودعم التمرد الداخلي في صفوف الجيش، وتعطيل الاتصالات تمثّل في إعداد خطط للحرب النفسية بغية تفتيت الوحدة بين جمهور العدو وقواته المسلحة وقيادته، وكذلك بهدف إثارة الذعر والريب والتخبط.

خلال الحرب أيضاً أبدت الحكومة في قطاع غزة قدرة على إدارة الشؤون الداخلية، واستطاعت الصمود بالرغم من كل ما تعرضت من أذى، وقد خرجت من الحرب أكثر قوة نتيجة لنجاح كتائب القسام وفصائل المقاومة في إطلاق الصواريخ على التجمعات الإسرائيلية بشكل رادع.[23]

---

[22] المرجع نفسه.

[23] انظر: محسن محمد صالح (محرر)، **حركة المقاومة الإسلامية حماس: دراسات في الفكر والتجربة** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2014)، ص 422.

3. اتفاق وقف إطلاق النار والدور المصري:

دخل وقف إطلاق النار حيّز التنفيذ عند التاسعة من مساء الأربعاء 21 تشرين الثاني/ نوفمبر، بموجب اتفاق جاء حصيلة النتيجة التي انتهت إليها جولة القتال في يومها الثامن من دون تحقيق حكومة نتنياهو هدفها في القضاء على خطر الصواريخ القادم من قطاع غزة، أو حتى إعادة ترميم قوة ردع الجيش الإسرائيلي التي أصيبت بمزيد من ضرر، وهو يبدو عاجزاً عن توفير الحماية للإسرائيليين على بعد نحو 80 كم من قطاع غزة.

فقد انتهت الحرب باتفاق ضمن مفاوضات سلِسة برعاية الرئيس محمد مرسي، وفيما يلي نص بنود الاتفاق: [24]

- تقوم إسرائيل بوقف كل الأعمال العدائية على قطاع غزة، براً، وبحراً، وجواً بما في ذلك الاجتياحات وعمليات استهداف الأشخاص.
- تقوم الفصائل الفلسطينية بوقف كل العمليات من قطاع غزة تجاه الجانب الإسرائيلي بما في ذلك عمليات إطلاق الصواريخ والهجمات على خط الحدود.
- فتح المعابر وتسهيل حركة الأشخاص والبضائع، وعدم تقييد حركة السكان أو استهدافهم في المناطق الحدودية، والتعامل مع إجراءات تنفيذ ذلك بعد 24 ساعة من دخول الاتفاق حيز التنفيذ.
- يتم مناقشة أية قضايا أخرى إذا ما تم طلب ذلك.

ففي هذا الاتفاق وخط مجريات الحرب كان للدور المصري تأثير كبير على مجريات الحرب، خصوصاً من رئاسة الشعب المصري المتمثلة بالرئيس محمد مرسي، رحمه الله، فقد قالت صحيفة الواشنطن بوست The Washington Post إن مرسي دان الهجوم، ووصفه بأنه "عدوان سافر

[24] محمود أبو وطفة وهيثم الرنتيسي، "الورقة الأولى: حروب غزة أسباب وعمليات ونتائج 2008، 2012 و2014 دراسة مقارنة،" ص 66.

على الإنسانية"، وقال "إن القاهرة لن تترك غزة بمفردها، ومصر اليوم غير مصر الأمس، والعرب ليسوا عرب الأمس"، ثم قال "نحن على اتصال مع شعب غزة ونحن مع الفلسطينيين، ونقف إلى جانبهم حتى يتوقف العدوان"، وقال كذلك "على إسرائيل أن تدرك أن هذا العدوان غير مقبول، وسيؤدي إلى عدم الاستقرار في المنطقة".[25]

أما من ناحية شعبية، فكان للشعب المصري دور كبير في خروج المظاهرات في الشوارع تنديداً بالحرب على غزة، ورفض كل ما يُمارَس بحقه من جرائم ضدّ الإنسانية، والقتل العشوائي البشع بِحقّ جميع فئات الشعب الفلسطيني.

فقد كانت البيئة الإقليمية فيما قبل الربيع العربي تفرض صعوبات بالغة على حركة حماس بسبب العزلة المفروضة عليها بعد استقلالها بالقطاع في سنة 2007، بالإضافة إلى التحدِّيات الداخلية التي تواجهها في إدارة قطاع غزة، والتعامل مع "إسرائيل"، والسلطة الفلسطينية في الضفة الغربية، فإذا كانت سنة 2011 قد مثّلت بداية تغير كبير في المشهد العربي لمصلحة تشكيل أنظمة سياسية ديموقراطية تعبّر عن إرادة الشعوب وعزتها وكرامتها، فإن المشهد الفلسطيني قد مضى بطيئاً في تحولاته مقارنة بالمشهد العربي، وضمن هذا المشهد تقع حركة حماس التي كان لثورات الربيع العربي انعكاس كبير عليها.[26]

محمد حسني مبارك

إن هذا التضامن المصري الواضح سواء من الرئاسة المصرية أم على صعيد الموقف الشعب ما كان ليكن في ظلّ حكم محمد حسني مبارك، وإن أقصى ما يمكن أن تقوم به مصر في أثناء حكم مبارك هو الشجب والاستنكار، على عكس حكم مرسي فقد أبدى تعاوناً وأظهر جهوداً فعلية على الأرض من خلال إرسال رئيس الوزراء المصري إلى قطاع غزة

[25] أحمد أبو السعيد، "الورقة الرابعة: قراءة تقييمية للتغطية الإعلامية العربية والدولية خلال الحروب على غزة "دراسة تحليلية نقدية"،" ص 276-277.

[26] أحمد عردوم، "دور حركة حماس في المقاومة الفلسطينية "2011-2016"،" موقع المركز الديمقراطي العربي، 2017/4/19، في: https://democraticac.de/?p=45748

بزيارة تضامنية، والإعلان عن سحب السفير المصري، بما تمثله من خطوة جريئة من دولة كمصر لها دورها وعلاقاتها السياسية والخارجية مع جميع أطراف المنطقة.

إن مسار ثورات الربيع العربي التي قامت في تونس ومصر وليبيا واليمن، يبيّن أنها قامت بسبب مجموعة عوامل تداخلت مع بعضها وأدّت إلى القيام بالحراكات السياسية والاحتجاجات الشعبية، وساعد على قيامها شبكات التواصل الاجتماعي من تويتر Twitter، يوتيوب YouTube، وغيرها من وسائل الاتصال الحديثة، وقدرة هذه الوسائل على تجميع الشباب حول فكرة معينة، وأفسحت المجال أمام فئات الشباب بالتواصل والاتفاق للخروج في مظاهرات، وأسهمت في تعبئة الجهود الشبابية من أجل القيام بالثورات ضدّ الأنظمة السياسية.[27]

من المهم جداً هنا أن نرى أن حالة الربيع العربي أتت بتغيرات كبيرة جداً على المستويين السياسي والاجتماعي في البلدان العربية، ونحن نتحدث بالأخص عن دولتين من أهم الدول العربية تاريخياً وحتى جيو—سياسياً في تداخلات القضية الفلسطينية؛ أي مصر وسورية، ومصر تحديداً لما لها من ثقل ودور استراتيجي مهم، بسبب عدد السكان وقوتها الناعمة والموقع الاستراتيجي والقوة الاقتصادية والدور التاريخي في القضية الفلسطينية وجوارها، لكل ذلك دور كبير ومحوري، بالتالي، فلا بُدَّ أن الزلزال السياسي الذي حدث فيها قد أثّر في القضية الفلسطينية، أي أن القوى السياسية والثورية في هذه البلاد والشباب ربما انشغلوا وقتياً عن القضية الفلسطينية بالقضايا ذات البعد الوطني، وتحديات الحياة اليومية ربما أغنتهم أو أشغلتهم عن الاهتمام بالقضية الفلسطينية، وبدا التراجع بالاهتمام بالقضية الفلسطينية.[28]

---

[27] سلام السواعير، "توجهات السياسية الخارجية الأردنية تجاه أزمات الربيع العربي 2011—2017،" رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، عمّان، ص 24–25، انظر: https://meu.edu.jo/libraryTheses/5adc4079b83cc_1.pdf

[28] سعيد الحاج، "الورقة الثانية: أثر التطورات الإقليمية على المقاومة الفلسطينية،" ورقة بحثية مقدمة لليوم الدراسي "الآثار الإستراتيجية للحروب على غزة في ظل التحولات الإقليمية"، معهد فلسطين للدراسات الإستراتيجية ومركز الدراسات الإقليمية، غزة، 2015/10/8، ص 146.

إن صعود الإسلاميين خصوصاً في مصر بعد سقوط نظام الرئيس المصري السابق حسني مبارك، شكّل قوة وسنداً للقضية الفلسطينية، فالتطورات ستمكن حركة حماس من تشكيل جبهة ممانعة قوية تقف أمام "إسرائيل" تغنيها عن الثمن الذي تدفعه مقابل مقاومتها المسلحة.[29]

فالمتغيّر الأساسي أنه خلال حرب حجارة السجيل كانت الثورة تحكم بشخص الرئيس مرسي، لذلك وجدنا الحالة العربية والإقليمية والإسلامية متفاعلة جداً مع الحرب منذ الأيام الأولى، وكان هناك اشتباك سياسي كبير جداً داعم للمقاومة والصمود الأسطوري ولإبداعات المقاومة، وكيف كانت قيادات المقاومة تخرج في قلب القاهرة وتعلن عن انتصار المقاومة وصمودها، وتفرض شروطها على العدو الإسرائيلي، وكيف كانت هيلاري كلينتون Hillary Clinton تهرع مباشرة إلى مصر، وتجتمع مع الرئيس مرسي ساعات طويلة حتى يخرج وقف إطلاق النار.[30]

هيلاري كلينتون

ثالثاً: تأثيرات الحرب:

1. تأثير الحرب على مكانة حماس السياسية:

تركت حرب 2012 على غزة آثاراً بالغة على كافة الصعد المحلية والإقليمية والدولية، وفيما يلي إطلالة على حزمة منها؛ أن الحرب أعادت لمصر دورها وبلونها الإسلامي الجديد، مما يعني تأثيرات بالغة على مستقبل الإقليم، وداعمة لدور الإسلاميين فيه في الأفق الاستراتيجي، كما رسّخت الحرب دور حماس في الخريطة السياسية الفلسطينية، ورفعت من مكانتها، وفتحت الآفاق أمامها لفرص جديدة على الصعيدين الإقليمي والدولي، كما أن تفاهمات التهدئة دلّت على تراجع مكانة "إسرائيل" في المنطقة، وتغير مواقف الدول المركزية فيها تجاه تل أبيب كمصر وتركيا. وعززت صورة عودة الدولة العبرية للدفاع

[29] سلام السواعير، "توجهات السياسية الخارجية الأردنية تجاه أزمات الربيع العربي 2011–2017،" ص 70.

[30] سعيد الحاج، "الورقة الثانية: أثر التطورات الإقليمية على المقاومة الفلسطينية،" ص 147–148.

عن وجودها، بدلاً من البحث عن دور في المنطقة كما حدث عقب اتفاق أوسلو Oslo Accords، مخرجات الحرب أبرزت زيادة انحسار النفوذ الأمريكي، فعلى الرغم من أن واشنطن قادت التحركات من الخلف عبر مصر وتركيا، فإن محصلة المواجهة لم تكن لمصلحتها، ولا لمصلحة "إسرائيل".[31]

مثّلت معركة حجارة السجيل محطة مهمة في تاريخ المقاومة الفلسطينية، إذ عرف الاحتلال فيها أن الشعب الفلسطيني بات يملك مقاومة صلبة عاقلة متوثبة مستعدة، وليست بالهاوية المندفعة، وكذلك عرف جيداً أن لهذه المقاومة حاضنة صلبة وحانية لم ولن تخذلها في يوم من الأيام.[32]

إن حرب 2012 شكلت نقطة تخفيف للانعزال السياسي، وإعادة شرعية حركة حماس، وإثبات شعبيتها، وتعزيز مكانتها إلى حدٍّ ما، فقد استثمرت حركة حماس تلك التطورات بصورة جيدة، وفق استراتيجيات محددة تصبّ في خدمة القضية الفلسطينية.

وبدورها نالت حماس العديد من المكاسب من جولة التصعيد واتفاق وقف إطلاق النار؛ ومن أبرزها وقف الاغتيالات والهجمات الإسرائيلية على قطاع غزة، وتسهيل حركة الأشخاص والبضائع عبر معابر القطاع بما في ذلك معبر رفح، واستعادة الشريط العازل الذي كانت "إسرائيل" تمنع دخوله على الفلسطينيين، والذي يتراوح عرضه ما بين 300–1,500م على امتداد حدود القطاع، وكذلك توسيع مدى الصيد البحري المسموح فيه من 3 إلى 6 أميال بحرية (نحو 11 كم)، وأيضاً اعتراف فلسطيني واعتراف أطراف دولية مهمة، مثل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي European Union ومصر، بقيادة الحركة على قطاع غزة وقدرتها على حكمه، وتعزيز مكانة حماس السياسية بفعل الدعم المصري الذي نالته، والتأييد الأمريكي لإجراء مفاوضات غير مباشرة معها،و زيادة شعبية الحركة

[31] عبد الرحمن فرحانة، العدوان على غزة.. الدوافع والمآلات، الجزيرة.نت، 2012/11/26.

[32] في ذكرى السجيل.. حماس: المقاومة اليوم أكثر استعداداً على مواصلة مسيرة التحرير، وكالة شهاب الإخبارية، 2020/11/14، في: https://shehabnews.com/p/72664

بشكل كبير في الضفة الغربية وقطاع غزة، وكذلك أظهرت حماس منتصرة سياسياً من خلال إثبات قدرتها على الصمود، واجتذاب اهتمام دولي غير مسبوق، وتقليص الدور السياسي لمحمود عباس والسلطة في رام الله في التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار.[33]

وقد أثبت هذه الحرب فشل نظرية لا توجد حربان متشابهتان، والإسرائيليون يشعرون بالهزيمة على الصعيد الفلسطيني، فمع كل اعتداء برهن الشعب الفلسطيني استعداده الدائم والكبير للصمود والتضحية وتجاوز الخلافات واحتضان المقاومة، وبرهنت المقاومة الفلسطينية أنها أخذت دروساً وعبراً، واستثمرت الوقت في الإعداد والاستعداد للحرب، وبناء القدرات القتالية والتدريب وتأهيل المقاتلين فردياً وجماعياً، وإعداد الخطط ورسم السيناريوهات وتنفيذ المناورات، تبيّن من خلال عدد من الاستراتيجيات أبرزها:[34]

أ. احتواء الضربات الأولى التي أرادتها إسرائيل أن تكون بمثابة صدمة ورعب بفقدان المقاومة توازنها.

ب. إنتاج وتصنيع السلاح والصواريخ محليا، وحفر الأنفاق والتحصينات التي أمنت دفاعاً قوياً (سلبياً وإيجابياً) وثباتاً على الحدود.

ج. الهجوم واقتحام المواقع بالعمق، وما عرف بالإنزالات خلف خطوط العدو، وهو ما يدل على شجاعة المقاتل الفلسطيني.

د. التركيز على استهداف العسكريين والمواقع العسكرية.

---

[33] محمد غازي الجمل، "تحولات وسياسات المشهد الإستراتيجي بعد العدوان الإسرائيلي على غزة في العام 2012،" مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 2013.

[34] واصف عريقات، "الورقة الأولى: الآثار الإستراتيجية المترتبة على الحروب الثلاثة الأخيرة: متوسطة المدى،" ورقة بحثية مقدمة لليوم الدراسي "الآثار الإستراتيجية للحروب على غزة في ظل التحولات الإقليمية"، معهد فلسطين للدراسات الإستراتيجية ومركز الدراسات الإقليمية، غزة، 2015/10/8، ص 138-139.

هـ. القدرة على التمويه والتخفي والاستفادة من طبيعة الأرض.

و. نقل المعركة إلى الداخل الصهيوني (مليون لاجئ) وبنك لأهداف منتقاة، وقصف العمق الإسرائيلي والمواقع الحيوية والإستراتيجية كمطار تل أبيب وأهداف قريبة من ديمونا، ما أدى إلى شلل اقتصادي وتوقف الحياة العامة في إسرائيل.

ز. تطور في استخدام السايبر والحرب الإلكترونية.

ح. الحفاظ على تماسك الجبهة الداخلية، وإفشال الحرب النفسية والدعائية الإسرائيلية.

على الرغم من حصول "إسرائيل" على الدعم من الجهات الدولية كافة سواء العربية أم الغربية بشتى أنواعها، وعلى الرغم من قوة الترسانة العسكرية وتطورها من دبابات وصواريخ وقبة حديدية مقارنة بما تمتلكه المقاومة الفلسطينية؛ إلا أنها فشلت فشلاً ذريعاً في إدارة المعركة ومواجهة قطاع غزة.

ففي هذه الحرب امتازت الجبهة الداخلية في سياق حالة نهوض شعبي التفّت حول المقاومة التي سعت لتعزيز انتصارها في إحباط أهداف العدوان الأخير بمزيد من الإنجازات على المستوى السياسي، بما في ذلك الضغط لإنهاء الانقسام، ودعم المعركة الديبلوماسية لترقية مكانة فلسطين إلى دولة بصفة عضو مراقب في الأمم المتحدة United Nations.

وهكذا وبعد مُضيّ شهر واحد على حرب 2012، والتي انتهت باتفاق على وقف إطلاق النار، ولم تنتهِ بحسم، تمّ التوصل إليه بوساطة كل من مصر والولايات المتحدة، واعترفت مصادر مسؤولة في قيادة الجيش الإسرائيلي، وبحسب صحيفة يديعوت أحرونوت Yedioth Ahronoth، أن الحرب انتهت من دون حسم واضح، وأن ذلك يشجع الشباب الفلسطيني في الضفة الغربية على إشعال الأرض تحت أقدام الاحتلال الإسرائيلي.[35]

[35] أنطوان شلحت، "نتائج الحرب على غزة وقرار الاعتراف بفلسطين: إسرائيل بين فكي عزلة إقليمية ودولية،" **مجلة سياسات**، معهد السياسات العامة، رام الله، العدد 22، كانون الأول/ ديسمبر 2012، ص 87.

2. ما بعد حرب السجيل:

إثر انتهاء عملية حرب السجيل ادّعى كل طرف الانتصار، فحكومة "إسرائيل" أعلنت أن أهداف العملية كلها قد تحققت، بينما صرّحت قيادة حماس أن "إسرائيل" استجابت لجميع مطالبها، وأنه في أعقاب القصف الصاروخي الذي حدث فإن "إسرائيل" ستفكر ألف مرة قبل أن تهاجم القطاع، ومن الواضح أن أحد الطرفَين، على الأقل، وعلى ما يبدو الاثنين معاً، يقدّمان صورة جزئية عما حدث.

بعد خروج "إسرائيل" من المعركة خاسرة كان لا بُدَّ للحكومة الإسرائيلية أن تظهر نفسها أمام شعبها بصورة المنتصر، المحقق لأهدافه، والقضاء على أكبر منظمة إرهابية بنظرهم وهي حماس، وباقي الفصائل الفلسطينية، وهذا ما ادعته الحكومة في أكثر من مَوطن، ولعل أبرز إنجاز بنظرها هو اغتيال قادة المقاومة على رأسهم أحمد الجعبري.

وقد يبرر مضمون اتفاق وقف إطلاق النار، واضطرار "إسرائيل" إلى إيقاف القتال بعد ثمانية أيام من بدئه من دون أن يكون إطلاق صواريخ المقاومة قد توقف، وإلغاء العملية البرية التي حشدت "إسرائيل" من أجلها بالتدريج 75 ألفاً من جنود الاحتياط، هذا الشعور بالانتصار الذي عبّر عنه قادة المقاومة، كما أنه قد يبرر تهديدهم "إسرائيل" معاودة القتال إذا لم تلتزم بما ينص عليه الاتفاق.

وما نصّ عليه الاتفاق في بنده الأول هو التزام "إسرائيل" بوقف جميع الأعمال العدائية على قطاع غزة براً وبحراً وجواً، وبما في ذلك الاجتياحات وعمليات استهداف الأشخاص، وتعتمدها في البند الثالث بفتح المعابر وتسهيل حركة الأشخاص والبضائع، وعدم تقيد حركة السكان أو استهدافهم في المناطق الحدودية "وموافقتها" مناقشة أي قضايا أخرى إذا ما تم طلب ذلك، وهذا كله لم تكن "إسرائيل" مستعدة للقبول به قبل المواجهة.

إذاً، لدينا هنا وصف تبسيطي وموجز لدوافع العدوان وأهدافه ونتائجه، كما ورد على لسان القادة السياسيين الأرفع مستوى لدى كلٍّ من الطرفين، ويتضح منه أن "إسرائيل" لا تدعي انتصاراً، وتكتفي بالقول إنها حققت الأهداف المعلنة وعلى رأسها استعادة قوة الردع، بينما المقاومة الفلسطينية تؤكد أنها

حققت نصراً، بينما صمدت في وجه العدوان، وأحبطت أهدافه، وردعت الجيش الإسرائيلي من اجتياح غزة براً، وأثبتت الحكومة أن غزة عصيّة على الكسر.[36]

إفرايم كام

من الجانب الآخر، زعم إفرايم كام Ephraim Kam الباحث في معهد الدراسات الاستراتيجية أن "إسرائيل" خرجت من الزاوية العسكرية منتصرة، وذلك على أكثر من صعيد، فقد وجهت خلال العملية ضربة قاسية إلى المنظومة الصاروخية لحماس وسائر المنظمات في القطاع، وإلى البنية التحتية ومنصات إطلاق الصواريخ ومستودعاتها، مع أن جزءاً صغيراً من منظومة الصواريخ الطولية المدى نجا وظلّ يقصف "إسرائيل" حتى التوصل إلى وقف إطلاق النار، كانت حماس استثمرت في هذه المنظومة أموالاً وغيره، وأعواماً طويلة من العمل، ويضاف إلى ما سبق الخسائر التي لحقت جهاز القادة والمقاتلين في هذه التنظيمات. خلال العملية برهن الجيش الإسرائيلي على قدرته الاستخباراتية باختراق عميق ونوعي ساعده على تجنب إلحاق أضرار بالسكان المدنيين، وبروز عنصر لا يقل أهمية عما سبق، وهو أن منظومة القبة الحديدية لأول سنة حققت نسبة نجاح تُقدّر بنحو 84%، وذلك معناه تقليل الإصابات والأضرار الناتجة عن قصف الصواريخ، ومع ذلك يقول كام، إن ما حدث يحمل دلالة مهمة بالنسبة إلى الجانب الفلسطيني، فالسلاح الصاروخي، وفي طليعته صواريخ فجر المتطورة، هي وسائل القتال الأساسية التي تمتلكها حماس ضدّ "إسرائيل"، وستبقى منظومة الصواريخ سلاحاً مهماً في يد الحركة، حتى لو جرى اعتراضها بنسبة عالية، وستظلّ حماس قادرة بواسطتها على تعطيل مجرى الحياة العادية في المناطق التي هي عرضة للقصف، علاوة على قدرتها على إلحاق الخسائر بالأرواح والأملاك، غير أن عملية اعتراض هذه الصواريخ عاليةً نسبياً، بالإضافة إلى تعطيل مجرى الحياة الاعتيادية في جنوب "إسرائيل" فقد سجلت حماس لمصلحتها أيضاً إطلاق الصواريخ على تل أبيب، وريشون لتسون، ومن جهة أخرى، فإن حماس تستطيع أن تسجل

[36] أحمد خليفة، "العدوان الإسرائيلي في سياق المواجهة الدائمة،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد 94، ربيع 2013، ص 20-21.

لمصلحتها حقيقة أن "إسرائيل" ارتدعت في نهاية الأمر عن القيام بعملية برية في القطاع، وجراء ذلك فقد التهديد الإسرائيلي المستمر بالقيام بعملية برية شيئاً من صدقيته.[37]

وقد تبين بعد أشهر قليلة من انتهاء العملية، أن الردع الذي أشاعا به نتنياهو وباراك، قد بدأ بالتآكل مرة أخرى؛ حيث عادت المقاومة إلى إطلاق الصواريخ وصناعتها، بل وتطويرها، وإلى تهريب الأسلحة.

غيورا أيلاند

وقد شكّكت تحليلات كثيرة بتحقيق قوة الردع، منها ما قاله اللواء احتياط غيورا أيلاند Giora Eiland، الرئيس السابق لشعبة الاستخبارات العسكرية "أمان Aman" ومجلس الأمن القومي، إن ضمان ردع أكبر كان مرهوناً بإلحاق أضرار فادحة بقدرة حركة حماس على الحكم، وهو ما تجنبت العملية فعله، وأضاف:

> لا شك في أن هنا الدرس مهم في أي جولة حربية مقبلة، ولا سيّما فيما يتعلق بلبنان، ذلك بأنه إذا خضنا "حرب لبنان الثالثة" ضد الأهداف العسكرية لحزب الله فقط، فإننا سنخسرها. بناء على ذلك يتعين على إسرائيل أن تنظر إلى حزب الله باعتباره جزءاً من مؤسسة الدولة اللبنانية، مثلما أن حركة "حماس" هي جزء من مؤسسة دولة غزة، وأن نخوض الحرب ضد الدولة اللبنانية كلها.[38]

ومما يؤيد هذه التشكيكات حول استرجاع قوة الردع، هو كلام أنطوان شلحت الباحث المتخصص بالشأن الإسرائيلي، حيث قال إن المؤسستين السياسية والأمنية في "إسرائيل" كانتا تدركان مسبقاً استحالة تحقيق حسم في قطاع غزة، وإعادة الهدوء إلى الجنوب ووقف إطلاق الصواريخ، وأن هناك هدفا آخر، هو استعادة قوة الردع الإسرائيلي، وأن "إسرائيل" أنجزت الهدفَين السابقَين إلا أن كبار المحللين العسكريين والسياسيين ينبّهون بما يلي:

---

[37] شلومو بروم، "بعد عملية عمود سحاب (قطاع غزة، تشرين الثاني/ نوفمبر 2012)،" معهد دراسات الأمن القومي، كتيب الأبحاث رقم 123، ترجمة رندة حيدر، كانون الأول/ ديسمبر 2012.

[38] أنطوان شلحت، "إسرائيل بين المتاهة السياسية وفائض القوة لدى اليمين،" ص 220.

- أ. إن إحداث تغيير فعلي للوضع الأمني في جنوب "إسرائيل" يتطلب أكثر من أي شيء آخر؛ تدمير مخزون الصواريخ في غزة والمنشآت التي تعينها، وإغلاق كل طرق ميناء الدعم الأساسي لهذا المخزون والشيء الذي لم يتحقق.
- ب. نتيجة عدم تدمير المخزون الصاروخي؛ إن السكان في الجنوب سيظلون عرضةً لخطر الصواريخ كما كانوا.
- ج. قد أظهرت الحرب أن هذه الصواريخ تهدد تل أبيب والقدس والمركز الإسرائيلي.
- د. إنه باستثناء "تجديد قوة الردع" على نحو محدد نتيجة اغتيال من تعدّه "إسرائيل" رئيس هيئة أركان حركة حماس أحمد الجعبري، لم تؤدِ باقي وقائع الحرب إلى ترميم قوة الردع الإسرائيلي، وعلى حدِّ تعبير رئيس الأسبق لشعبة الاستخبارات العسكري "أمان" ومجلس الأمن القومي غيودا أيلاند لو تمّ ذلك ولحق بالقطاع دمار كبير، لكان في إمكاننا بثقة عالية القول إنَّ هدف ترميم قوة الردع الإسرائيلي قد تحقق.[39]

باراك أوباما

ومما يؤيد ذلك ما جاء في بيان صادر عن ديوان رئيس الحكومة؛ أن نتنياهو تحدث هاتفياً ليتوصل إلى هذه التفاهمات مع الرئيس الأمريكي باراك أوباما Barack Obama، واستجاب بتوصية هذا الأخير بمنح الاقتراح المصري فرصة وقف إطلاق النار، وبذلك تمنح فرصة لاستقرار الأوضاع وتهدئتها قبل أن تقتضي الحاجة ممارسة قوة أكبر، وعقب إعلان هذه التفاهمات خلال مؤتمر صحفي مشترك في القاهرة لوزيريَ خارجية كل من مصر والولايات المتحدة، عقد نتنياهو مؤتمراً صحفياً في ديوانه في القدس، أكّد فيه أن "إسرائيل" ربما ستكون مضطرة في يوم ما إلى شنِّ عملية عسكرية أكثر قوة من قطاع غزة، ولكن الخطوة الصحيحة بالنسبة إلى "إسرائيل" في هذه المرحلة هي استنفاذ الفرصة المتاحة لتحقيق وقف مستمر لإطلاق النار،[40]

[39] أنطوان شلحت، "نتائج الحرب على غزة وقرار الاعتراف بفلسطين: إسرائيل بين فكي عزلة إقليمية ودولية،" ص 87.

[40] أنطوان شلحت، "إسرائيل بين المتاهة السياسية وفائض القوة لدى اليمين،" ص 219.

ولكن لو أن "إسرائيل" حققت في حربها على غزة قوة الردع، فلماذا اضطر في يوم ما إلى توسيع عملية أكبر على قطاع غزة.

أما على صعيد المقاومة وأهم متغير حصل هو نشأة مفهوم جديد لقوة الردع الفلسطيني حتى العقل الأمني الإسرائيلي يعترف بوجود شيء جديد اسمه قوة الردع الفلسطيني، ويستطيع الفلسطينيون أن ينفذوا بقوة سياسة الردع.

أمر آخر أنه إذا كان هذا الانتصار حقيقياً، والأهم من ذلك هو ما سيترتب عليه، بمعنى أنه هل التزمت "إسرائيل" فعلاً بكل البنود التي ذكرت في الاتفاق؟ وهي: وقف إطلاق النار، وهل سمحت للمزارعين بمزاولة مهامهم والوصول إلى حقولهم؟ فهل ستسمح للصيادين بالذهاب إلى عمق 6 أميال بحرية كما تمّ الاتفاق عليه في اتفاق وقف إطلاق النار؟ أمر آخر، أي انتصار هذا الذي يَمنع الفلسطينيين من دخول أراضيهم؟ وكيف مُنع رمضان شلح من الدخول وتمّ تهديده في الوقت الذي سمح فيه لخالد مشعل بالدخول؟ إذاً ليس المهم ما حدث؛ ولكن الأهم ما يترتب عليه.[41]

إن مسالة استهداف تل أبيب وريشون لتسيون لأول مرة من قبل المقاومة الفلسطينية فرض معادلة توازن معين للردع أو للرعب، لأنه أصبح بمقدورها إدخال أغلب سكان "إسرائيل" إلى الملاجئ ولوقت طويل.

أما بالنسبة إلى الرأي العام في "إسرائيل"، فقد أظهر استطلاع أجرته صحيفة "معاريف Maariv" أن 49% من الإسرائيليين يعتقدون أنه ما كان يتعين على "إسرائيل" أن تقبل اتفاق وقف إطلاق النار مع حركة حماس، بل كان عليها أن تستمر في عمليتها العسكرية ضدّ قطاع غزة، بينما قال 31% إنه كان عليها أن تقبل هذا الاتفاق.[42] وهذا كافٍ للتشكيك في رواية "إسرائيل" حول الانتصار وإرجاع قدرة الردع.

وقد ذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت أن حركة حماس تواصل حفر الأنفاق بآليات ثقيلة، وقد وصلت هذه الأنفاق إلى داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948، على بعد أمتار من الشريط الحدودي شمال

---

[41] ندوة: انتزاع الدولة، وصد العدوان على غزة: ماذا تصنع فلسطين بـ"انتصارها"، **مجلة سياسات**، معهد السياسات العامة، رام الله، العدد 22، كانون الأول/ ديسمبر 2012، ص 100-99.

[42] أنطوان شلحت، "إسرائيل بين المتاهة السياسية وفائض القوة لدى اليمين،" ص 220.

قطاع غزة، وقالت صحيفة يديعوت في عددها الصادر يوم الجمعة الموافق 2015/3/13، إن تسجيلات مصورة التقطت من مستوطنة نتيف معسرا اليهودية شمال قطاع غزة، كشفت عن تكثيف حركة حماس لعمليات حفر الأنفاق على بعد أمتار من الشريط الحدودي، مؤكدة أن هذا الأمر يُعدّ "الأخير" من بين تبعات الحرب الأخيرة على غزة.[43]

وبعد هذا يمكن القول إن حماس استفادت من حرب 2008، ومن المفاجأة التي تلقتها بقتل المئات من كوادرها وعناصرها، حيث استخلصت العبر وبدأت بحفر الأنفاق للإخلاء، وليكون جندها في مأمن من القصف والاغتيالات. فبعد مقتل الجعبري تبين أن الحركة جاهزة، واستخلصت العِبرَ بعد حرب 2008، حيث تمّ إخلاء كل القيادات والعناصر المقاتلة، وهذا كان سبباً رئيسياً لفشل "إسرائيل" في تحقيق أهدافها في حرب 2012، كما أن هذه الأنفاق استُخدمت لأول مرة في قطاع غزة لإطلاق الصواريخ من داخلها، أي أنها كانت منصات آمنة لإطلاق الصواريخ، وكانت أيضاً مخازن آمنة، كما أن حرب 2012 كانت عبارة عن تجربة ثابته للمقاومة في خوض الحرب، وكانت مليئة بالدروس التي سيُستفاد منها في الحرب اللاحقة والتي استمرت 50 يوماً.

ومما يدل على أهمية واستراتيجية سلاح الصواريخ والأنفاق التي تطلق منها، وهو ما حصلت عليه "إسرائيل" من تعهد من الولايات المتحدة بتقديم مساعدات لتحويل إنتاج مزيد من منظومات، القبة الحديدية، المضادة للصواريخ، لزيادة عددها إلى 13 منظومة، حيث كان لدى "إسرائيل" في أثناء الحرب 5 بطاريات من القبة الحديدية، ثم نصب 4 منها في المنطقة الجنوبية في أثناء عملية عمود السحاب، بينما نصب البطارية الخامسة في منطقة غوش دان في وسط "إسرائيل"، وكما أنها حصلت

[43] نشرة فلسطين اليوم، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، السبت 2015/3/14، العدد 3516.

على تعهد من مصر بأن تعمل على كبح عمليات تهريب الأسلحة إلى غزة، وذلك بدعم ومساعدة من الولايات المتحدة.[44]

في قراءة تحليلية للدكتور عدنان أبو عامر بقوله:[45]

يمكن تقييم نجاح العمليّة الإسرائيلية أو فشلها من خلال مدى سلامة قادة حماس بعد الغارات الجويّة، وسرعة تقدّم الجيش داخل غزّة أو تباطئه، وجاهزية المنظومة الدفاعيّة التي حضّرتها المقاومة بعد القصف الجويّ، ومستوى المخزون اللوجستيّ من الصواريخ التي إذا ما استمرّت بالانطلاق.

الدرس الأهم في هذه الحرب الإسرائيلية على غزة أن مجموعة من المقاتلين، وحفنة من الصواريخ، لا تستطيع أن تقضي على الجيش المهاجم، لكنها في الوقت ذاته لا تتيح له فرصة تحقيق أهدافه، وحين لا يستطيع جيش جرار ذلك، فهذه هي هزيمته، حصل هذا في "الرصاص المصبوب" حين واجهته "بقعة الزيت" الفلسطينية في 2008، ويحصل ثانية في "عامود السحاب" الذي تواجهه "حجارة السجيل" عام 2012!

الخلاصة:

لقد كان لحرب 2012 أهمية خاصة بالرغم من قصر مدتها مقارنةً بالحرب التي سبقتها، حرب الفرقان 2008، وقد دار البحث حولها؛ حيث ناقش الحرب، وأسبابها، ومجرياتها، واتفاق وقف إطلاق النار، وحاول الباحث في كل مرة المقارنة بينها وبين الحرب التي سبقتها من عدة نواحٍ، وقد وجد الباحث أن الفرضية التي وضعها في بداية البحث أنها صحيحة؛ إذ إن حرب 2012 قد أسهمت في تقوية مكانة حماس والمقاومة الفلسطينية، وعززت من مواقفها السياسية من خلال شرعنة المقاومة، وتغيّر نظر العالم إلى حركة حماس من حركة إرهابية إلى كيان مقاوم على أرضه، وقد تأتي ذلك من خلال الزيارات التي قام بها السياسيون والدبلوماسيون إلى قطاع غزة، وأيضاً من

[44] أنطوان شلحت، "إسرائيل بين المتاهة السياسية وفائض القوة لدى اليمين،" ص 219.

[45] عدنان أبو عامر، "عمود السحاب" يترنح أمام "حجارة السجيل"، موقع د. عدنان أبو عامر، 2018/1/14، في: https://adnanabuamer.com/post/33-/

خلال اتفاق وقف إطلاق النار الذي رغبته كل من أمريكا ومصر، على عكس حرب 2008. وكما كان لتلك الحرب من أثر إيجابي في تطوير القوة العسكرية وقوة سلاح الأنفاق، وفرض نوع من معادلة الردع والرعب. ويبدو أن فرضية البحث ستكون صحيحة أكثر إذا ما عايشنا وتابعنا الحرب الأخيرة؛ ويبدو أن حركة حماس والمقاومة في قطاع غزة كانوا قد استفادوا من دور الحرب خصوصاً فيما يخصّ تطوير الصواريخ والأنفاق والاستراتيجيات المستخدمة، وهذا ما ظهر في حرب العصف المأكول سنة 2014.

Abstract

The research studies the role of the 2012 Operation Stones of Baked Clay (dubbed by Israel Operation Pillar of Defense) in strengthening the political and military position of Hamas. It analyzes the development of its military performance in the battle, and discusses how the Egyptian role and the Arab Spring influenced the battle and the truce talks.

The study concludes that the Operation Stones of Baked Clay mitigated the political isolation of Hamas, and helped—to some extent—in restoring its legitimacy, proving its popularity and strengthening its position. In that battle, Hamas managed the military, negotiating, media and field aspects, on strategic basis. It proved that it is prepared for battle at any time. Unlike the mediations of former Egyptian governments under Mubarak, that under Morsi had a significant impact on the course of war. For it was not limited to denunciation, rather it took practical steps in the interest of the Palestine issue.